رؤية الصين وروسيا لمعركة سيف القدس

ليث عصام مجيد العبيدي*
باحث من العراق

*جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية
laith.i@copolicy.uobaghdad.edu.iq

ملخص :

أظهرت معركة غزة (سيف القدس) رؤية الصين وروسيا تجاه الصراع الاسرائيلي الفلسطيني، لكونهما يتمتعان بعلاقات جيدة مع طرفي الصراع، وهذا مكنهما من أن يطرحوا رؤية لمشروعهم للوصول الى حل سلمي يرضي الطرفين، ونابع من مصالحهما الاقتصادية والسياسية في منطقة الشرق الاوسط، فالصين لديها رؤية كاملة من خلال مشروعها (مبادرة الحزام والطريق)، اما روسيا فهي حريصة على المحافظة على وجودها الجيوسياسي واستثماراتها في (خطوط الغاز) على الاراضي السورية ودول الشرق الأوسط، لكن كلاهما يواجهان عداء الولايات المتحدة الساعي لتحجيم دورهم الأجدى في حل الازمة عبر دعم الحوار السياسي والاقتصادي والبيئي للشعب الفلسطيني.

كلمات مفتاحية : الصين، روسيا، معركة غزة (سيف القدس).

China and Russia's Vision of the Battle of Sword of Jerusalem

Laith Issam Majid Al-Obaidi
University of Baghdad/ College of Political Science

ABSTRACT

The battle of Gaza (the Sword of Jerusalem) shows the vision of China and Russia towards the Israeli-Palestinian conflict, as they enjoy good relations with both parties of the conflict, and this enabled them to present a vision for their project to reach a peaceful solution that satisfies both parties, stemming from their economic and political interests in the Middle East. China has a full vision

via its project (the Belt and Road Initiative), while Russia is keen to maintain its geopolitical presence and its investments in gas of Syrian territory and Middle east. But both are facing the hostility of the United States, which seeks to limit their most useful role in resolving the crisis by supporting the political, economic and environmental dialogue for the Palestinian people.

KEYWORDS: China, Russia, the battle of Gaza (the sword of Jerusalem).

المقدمة:

بدأت معركة غزة (سيف القدس)، بعد أن قضت المحكمة العليا الإسرائيلية بإخلاء العائلات الفلسطينية وطردهم من منازلهم في حي الشيخ جراح، اعترض الأهالي الفلسطينيون من سكان الحي على هذا القرار، ورفضوا أن يقوم الاحتلال الإسرائيلي بتنفيذ القرار وأن يرحلهم من بيوتهم. ولحقها اقتحام جنود الشرطة الإسرائيلية المسجد الأقصى، واعتدوا على المصلين في المسجد الأقصى، والمتواجدين في حي الشيخ جراح وباب العمود، تزامنت هذه الأحداث مع دعوات جماعات الهيكل المتطرفة لاقتحام المسجد الأقصى في 28 رمضان لإحياء ذكرى ما يُسمى بدمج شطري القدس.

عملت الولايات المتحدة منذ عام 1991على ضمان أن تلعب روسيا والصين دوراً محدوداً في المفاوضات بين الكيان الإسرائيلي وجيرانه. والتزمت الولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي في عام 1991 بمبدأ المفاوضات الثنائية الطوعية بين الكيان الإسرائيلي وسوريا والأردن والفلسطينيين على التوالي، ولم تكن ترغب الولايات المتحدة في تدويل هذه المفاوضات لتصل للأمم المتحدة. وكان من المهم بالنسبة للروس والصينيين، أن يُنظر إليهم على أنهم طرف محايد داعمون لعملية السلام. لكن الولايات المتحدة والكيان الاسرائيلي عمل على تحجيم دورهما. لقد شارك الروس في رئاسة المجموعة التوجيهية لعملية السلام متعددة الأطراف هذه إلى جانب استضافة الولايات المتحدة والصين اجتماعات عدة لمجموعات العمل الوظيفية. كان الهدف الرئيسي من هذا الجهد المتعدد الأطراف هو أن يُظهر للكيان الإسرائيلي أن هناك احتمالية لعلاقات جيدة مع الدول العربية إذا ما أحرزوا تقدماً في المفاوضات الثنائية، وبالمقابل كانت تمنع الولايات المتحدة كل من الصين وروسيا في أن يكون لهم أي مشاركة في المحادثات الثنائية بين الكيان الإسرائيلي وجيرانه، وبالنتيجة أصبحت العملية المتعددة الأطراف ضحية لعدم إحراز أي تقدم ملموس في المفاوضات الثنائية نحو السلام والمصالحة.

بعد اندلاع معركة غزة (سيف القدس) أيقن الروس والصينيون أنَّه حان الوقت في

أن يكون لهم رؤية ومشروع يحظى بالقبول في المنطقة والعالم، وبالفعل تمكنت الصين من طرح رؤية اقتصادية عالمية مغرية متمثلة (بمبادرة الحزام والطريق) لتتفوق على خصومها عبر البوابة الاقتصادية للدول التي أنهكتها المخططات الامريكية الإسرائيلية من خلال الحروب والازمات الاقتصادية والسياسية، كذلك عملت روسيا أيضاً على رؤية اقتصادية عسكرية مغرية للاستثمار في مشاريع (خطوط الغاز) والثروات الطبيعية ومحاربة الارهاب مع دول الشرق الاوسط والعالم، لكي تعزز من وجودها الجيوسياسي.

أهمية البحث

يقدم البحث رؤية تحليلية للمواقف الصينية والروسية تجاه الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في معركة غزة (سيف القدس). وتبرز الدراسة الموقف السلبي للولايات المتحدة وإسرائيل في العمل على إفشال أي مبادرة أو مشروع يدعم السلم والأمن للشعب الفلسطيني.

منهج البحث

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على (المنهج التحليلي)، كونها دراسة سياسية تتطلب التحليل، فضلاً عن ذلك احتاج الباحث لهذا المنهج لتحليل الرؤى والمواقف الامريكية والإسرائيلية تجاه التصعيد الحاصل ضد الشعب الفلسطيني في معركة غزة (سيف القدس).

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في التساؤلات الآتية:

1. هل هناك رؤية للصين وروسيا تجاه معركة غزة (سيف القدس).
2. ما الاهمية التي تمثلها فلسطين لكل من الصين وروسيا.
3. ما طبيعة التنافس الامريكي في الشرق الاوسط تجاه الصين وروسيا.

فرضية البحث:

تعدّ منطقة الشرق الأوسط محل اهتمام كبير من قبل القوى الدولية العظمى والكبرى، لما تمتاز به المنطقة من موقع جغرافي وثروات طبيعية. ولهذا فإنّه من يسيطر على هذه المنطقة يتمكن من تحقيق أفضلية تنافسية مع القوى المنافسة. ضمن هذه الرؤية يأتي التنافس الصيني الروسي مع الولايات المتحدة الأمريكية لتعزيز نفوذهما في المنطقة بوجه عام وفي فلسطين بوجه خاص، ومحاولتهما فرض رؤيتهم ومشروعهم في قضايا المنطقة، ورسم مسارات الاحداث، لتعزيز مكانتهما في النظام الدولي.

هيكلية البحث:

قسم البحث على محورين، فضلاً عن الملخص العربي والإنكليزي والمقدمة والخاتمة وقائمة للهوامش وقائمة للمصادر:

المحور الأول: رؤية الصين تجاه معركة غزة (سيف القدس).
المحور الثاني: رؤية روسيا تجاه معركة غزة (سيف القدس).

المحور الأول: رؤية الصين تجاه معركة سيف القدس

يصنف الصراع[1] الإسرائيلي الفلسطيني الطويل الأمد بأنه الأخطر تصعيداً بين الطرفين خلال السنوات الأخيرة، والذي قد يؤدي لحرب شاملة في المنطقة، كما حذرت ودعت الامم المتحدة للتهدئة. في الوقت الذي كانت اسرائيل تكثف هجماتها على قطاع غزة من خلال العمليات الجوية، بالمقابل أطلقت المقاومة الفلسطينية 3000 صاروخ على أراضي الكيان الإسرائيلي، رافقه تراجع في الوضع السياسية الداخلي والذي تواجه المؤسسات الحاكمة في كلتا الدولتين، ومن خلال فشل نتنياهو مرة أخرى في تشكيل حكومة ائتلافية، بينما قرر الرئيس الفلسطيني محمود عباس تأجيل الانتخابات البرلمانية والرئاسية خوفاً من خسارة السباق لصالح حزب المعارضة. تبدو احتمالات التوصل إلى حل بين الجانبين ضعيفة[2].

مقابل هذا الصراع، برزت الصين وروسيا الاكثر حيادية بشأن هذا الصراع. كانت رؤية وموقف الصين منسجمه مع رؤية وموقف روسيا[3]، حيث حثت جميع الأطراف على ممارسة ضبط النفس لتجنب المزيد من الضحايا. وتشترك الصين وروسيا في جملة من الرؤى والمواقف المطروحة في اجتماعات مجلس الأمن في الأمم المتحدة، باعتبارها حجر الزاوية في البنية السياسية العالمية، بينما يعارضان النظام الدولي القائم على القواعد التي تروج لها الولايات المتحدة.

تتجلى رؤية بكين وموسكو المتداخل بشأن تسهيل قيادة وتأثير الأمم المتحدة في حل النزاعات العالمية، في محاولاتهما جلب المواجهة بين الكيان الإسرائيلي وفلسطين إلى مجلس الأمن. حيث دأبت الصين وروسيا الترويج المشترك لـ نظام الدولتين باعتباره الخيار الأفضل لتسوية سلمية، وهو الخيار الذي حظي أيضاً بدعم الأمم المتحدة[4].

ترى وزارة الخارجية الصينية بأن هناك شكوك في دوافع الولايات المتحدة تجاه معركة غزة (سيف القدس)، ووبخت البلاد التي بكونها لا تكترث لمعاناة الشعب الفلسطيني. ليست هذه هي المرة الأولى التي تكون فيها الولايات المتحدة على خلاف مع نظرائها في مجلس الأمن الدولي. وفي 7 مايو، تبادلت واشنطن الانتقادات اللاذعة مع الصين وروسيا، وألقت باللوم عليهما بشكل غير مباشر، على انتهاك الالتزامات الدولية ومنع محاولات محاسبة أولئك الذين ينتهكون القانون الدولي. ورد وزير الخارجية الروسي، سيرجي لافروف، باتهام واشنطن بمحاولة إنشاء نادي مغلق للديمقراطيات على أساس الأيديولوجية، الأمر الذي لن يؤدي إلا إلى تفاقم التوتر الدولي[5].

(1) لمزيد من التفاصيل ينظر: جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ط1، (بيروت: دار ومكتبة الهلال،2011م)، ص ص56-58.

(2) The diplomat, website, Danil Bochkov, May 21, 2021. https://thediplomat.com/202105//what-are-china-and-russia-saying-about-the-israel-palestine-conflict/

(3) لمزيد من التفاصيل ينظر: أنطوان برونيه وجون بول جيشار، التوجه الصيني نحو الهيمنة العالمية الإمبريالية الاقتصادية، ترجمة عادل عبدالعزيز أحمد، ط1، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2016م)، ص35

(4) المصدر السابق

(5) المصدر السابق

تتميز السياسة الصينية بكونها حكيمة وتعتمد على الوعي والإدراك ويكمن السر في حكمتها من خلال العلاقة بين السالب والموجب[6]. حظيت قضايا الشرق الأوسط والصراع العربي- الاسرائيلي باهتمام خاص لدى القيادة الصينية، فهي تدعم الصين استقلال فلسطين وتعارض رسمياً الاحتلال الإسرائيلي لأراضيها - حتى مع تطويرها العلاقات الاقتصادية والتجارية والدبلوماسية مع تل أبيب[7]. لقد دفعت علاقتها الجيدة مع كلا الجانبين، إلى تكرار عرضها في عام 2017، بتقديم خدمات وسيطة لمحادثات السلام الإسرائيلية الفلسطينية. أشادت فلسطين بالفعل بعرض وزير الخارجية الصيني وانغ يي الذي لعب دور وسيط السلام، بينما التزمت إسرائيل الصمت. يمكن تفسير ذلك إما من خلال تعطشها للانتقام - كما تعهد نتنياهو بمواصلة القتال - أو موقف البلاد المؤيد للولايات المتحدة. وفيما يتعلق بانتقاد الصين لسلوك واشنطن المعيق في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، سلط الضوء على أن الولايات المتحدة هي «الدرع الدبلوماسي لإسرائيل في الأمم المتحدة». لا يبدو أن قبول إسرائيل عرض الصين للتوسط في محادثات السلام أمر قابل لبكين، لأن الولايات المتحدة لن تقبل أبداً التخلي عن نفوذها الإقليمي لصالح بكين[8].

تتميز السياسة الصينية بكونها حكيمة وتعتمد على الوعي والإدراك

نشرت الصين العديد من الصور التي توضح إصابة السكان المدنيين الفلسطينيين للعالم، كما نشرت وسائل الإعلام الصينية صوراً لاحتفالات عيد الفطر في شينجيانغ من أجل إبراز الحرية التي يتمتع بها المسلمون في الصين، على عكس التأكيدات الأمريكية والغربية بأن الصين تقمع هذه الأقلية. ومع استمرار الحملة في قطاع غزة، كثفت وسائل الإعلام الصينية من رسائلها حول الاعتداءات الإسرائيلية والتأييد الأمريكي لتلك الهجمات. واستطاعت بكين من توظيف غضب الشعب الصيني من الدعوات المتزايدة في الولايات المتحدة لمقاطعة الألعاب الأولمبية الشتوية في فبراير 2022 في بكين بسبب معاملة الصين لمسلمي الأويغور في شينجيانغ.

من الضروري أن يكون هناك عمل مشترك لإنهاء معركة غزة (سيف القدس)

ترى الصين بصفتها الرئيس الدوري لمجلس الامن الولايات المتحدة، من الضروري أن يكون هناك عمل مشترك لإنهاء معركة غزة (سيف القدس)، والتوقف عن عرقلة الجهود في الأمم المتحدة للمطالبة بإنهاء إراقة الدماء وتوفير المساعدات الإنسانية، ووقف التهديدات بالعنف والاستفزازات ضد المسلمين، والحفاظ على الوضع التاريخي الراهن لكون القدس موقع ديني مقدس. لكن هذا العرقلة هي من قبل دولة واحدة منعت المجلس من التحدث بصوت واحد، لكونها ترغب بالتفرد بالقرار.

فشل مجلس الأمن الدولي مراراً وتكراراً في إصدار بيان يدعو إلى الهدوء، ووقف هجمات الكيان الاسرائيلي بسبب المعارضة الأمريكية، والتي منعت المجلس من

(6) لمزيد من التفاصيل ينظر: لوه تشونغ مين، ترجمة د.حسانين فهمي حسين، ولـد للإصلاح مقومات التجربة الصينية، ط1، (مصر: دار النشر للجامعات، 2014م)، ص88.

(7) لمزيد من التفاصيل ينظر: إبراهيم نافع، الصين معجزة القرن العشرين، ط1، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1999م)، ص178-179.

(8) المصدر السابق

عقد جلسة علنية حول الأزمة في 14 مايو2021، على الرغم من أنها وافقت على عقد هذا الاجتماع في 16 مايو2021. وكما هو الحال في العديد من المناسبات الماضية عندما منعت تحرك الأمم المتحدة بشأن الملف الفلسطيني. هذه المواقف العدائية للولايات المتحدة يعكس مواقف الإدارات السابقة حتى أنه جعل واشنطن معزولة دبلوماسياً. وعلاوة على ذلك، فإن حجب البيانات والنقاشات حول معركة (سيف القدس) في مجلس الأمن سيفيد الصين التي كانت تعمل على مسودة بيانات المجلس حول الأزمة مع تونس والنرويج وروسيا، والتي يمكن أن تستخدمها عندما تثير الولايات المتحدة قضايا مثل سوريا أو شينجيانغ.

ليس للصين نفوذ كاف على الجانب الإسرائيلي لحملهما على التفاوض على تسوية مع الفلسطينيين، حتى لا تكون الصين لاعباً كبيراً في هذه القضية، ولحجب تمتعها بالنفوذ القوي والمؤثر على كلا الطرفين لحل نزاعهما. هذا هو السبب في أن الصين لم تكن جادة في جهودها لإشراك نفسها، وهي تتفهم حدودها، لذا فهي تحافظ على مشاركتها بشكل جهد دولي جماعي في الشرق الاوسط، لضمان نموها الاقتصادي من امدادات الطاقة، والعمل بأسلوب هادئ لمزاحمة الولايات المتحدة وتقليل فرصها في الإضرار بمصالح الصين[9].

(9) كـرار أنـور ناصر البديري، الصين بزوغ القوة من الشرق، ط1، (بـيـروت: دار المحجة البيضاء للنشر والتوزيع، 2015م).

ترتكز رؤية بكين لخطة السلام التي طرحها الرئيس (شي جين بينغ) في يوليو 2017، لإيجاد تسوية جديدة بين الإسرائيليين والفلسطينيين ومن تلقاء نفسها. والتي من أهم مضامينها:

1. دفع عجلة التسوية السياسية على أساس حل الدولتين.
2. التمسك بمفهوم أمني مشترك وشامل وتعاوني ومستدام.
3. زيادة تنسيق جهود المجتمع الدولي.
4. تعزيز الجهود المتضافرة من أجل السلام، وتنفيذ التدابير بشكل شامل وتعزيز السلام مع التنمية.

الصين تطمح في أن يُنظر إليها على أنها تعزز تسوية تفاوضية بين الفلسطينيين والكيان الإسرائيلي

الصين تطمح في أن يُنظر إليها على أنها تعزز تسوية تفاوضية بين الفلسطينيين والكيان الإسرائيلي. لكن أفعالها مصممة بحيث يُنظر إليها على أنها قوة عظمى مسؤولة تشارك في الاستقرار الدولي. وهذا ما يفسر سبب انخراط الصين في عملية التفاوض في العديد من القضايا الدولية، على الرغم من أنها قد لا تستطيع التأثير على الأطراف - على سبيل المثال مشاركتها في المحادثات النووية الإيرانية ومؤتمر برلين حول اليمن.

لقد استطاعت الصين من فرض نفسها كطرف رئيسي معترف به في طاولة مفاوضات النزاعات الدولية، وهذا جزء من استراتيجية السياسة الخارجية للصين. لذلك، تفضل الصين المشاركة في جهد دولي جماعي بدلاً من اتخاذ خيار الذهاب بمفردها لسببين:

1. لا تملك الصين القدرات اللازمة للنجاح من خلال العمل بمفردها، لا سيما في قضية معركة (سيف القدس)، حيث تكون الولايات المتحدة الوسيط الرئيسي.
2. لا تريد الصين أن تتحمل المسؤولية كضامن لبعض النتائج التفاوضية[10].

نستخلص مما سبق أن هناك رؤية مباشرة وغير مباشرة تنهجها الصين في مواقفها السياسية والدبلوماسية. تميل وتتعاطف فيها نحو الشعب الفلسطيني، إذ كانت دائماً منذ أيام (ماو)، تتضامن مع قضايا دول العالم الثالث سمة من سمات سياستها الخارجية، وخصوصاً إذا تعلق الأمر بنزاع في الشرق الأوسط، فهي تدعو عادةً الجهات الفاعلة الإقليمية والخارجية في أن يكون موقفها داعماً فعلياً لا ظاهرياً في حل مشاكلها الخاصة بالشرق الأوسط. وهي ترى استقرار المنطقة يكون الحل عبر مشروعها الاقتصادي (مبادرة الحزام والطريق)، وسياسي عبر الحوار الجماعي وقيادة الأمم المتحدة. لكن مواقف بعض الدول العربية المطبعة مع الكيان الإسرائيلي (الامارات، البحرين، المغرب، السودان)، عقد المشهد على بكين، وأبان تراجع الأهمية للقضية الفلسطينية المركزية في المنطقة عند تلك الدول. إضافة لذلك قد تؤدي أزمة الشرق الأوسط هذه إلى تحويل بعض الاهتمام الدولي المركّز على معاملة الصين لسكان الأويغور في شينجيانغ، وهي تدرك أن الولايات المتحدة لا تزال القوة الوحيدة التي تتمتع بنفوذ كبير على إسرائيل، ولن تقوم واشنطن بأي تحرك جاد لتقريب الأطراف من تسوية تفاوضية، والحد من جهودها لمحاولة ذلك. لذلك يبدو أن الصين ترى من مصلحتها المضي قدماً كقوة تداخلية تسهم في طرح حلول لهذا الصراع الطويل الامد، معتمدة على الخطاب وفق إطار الأمم المتحدة، حتى لا تظهر بصورة الضامن الوحيد للقرار والفاشلة إذا حاولت لعب دور أكبر.

(10) Atlantic council, website, Dr.Mohamed Bin Huwaidin is an associate professor of Political Science at the United Arab Emirates University, Wed, May 26, 2021.
https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/do-china-and-russia-want-to-replace-the-us-as-mediators-in-the-israeli-palestinian-conflict/

المحور الثاني: رؤية روسيا تجاه حرب سيف القدس

ففي الماضي كان يعد الكيان الإسرائيلي رصيداً استراتيجياً قيماً للولايات المتحدة، فخلال الحرب الباردة على سبيل المثال، كان دعم إسرائيل وسيلة فعالة لكبح النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط، لأن جيش الكيان الإسرائيلية كان يمتلك قوة قتالية تتنافس مع القوات المسلحة للدول الحليفة للاتحاد السوفيتي مثل مصر أو سوريا. ومع ذلك، فإن الدعم غير المشروط لإسرائيل اليوم يخلق مشاكل لواشنطن أكثر مما يحلها. أن إدارة بايدن حريصة على استعادة سمعة الولايات المتحدة وصورتها، اذ إنها تريد أن تميز بشكل واضح بين سلوك الولايات المتحدة وقيمها وتلك الخاصة بخصومها مثل الصين وروسيا، وفي هذه العملية تعيد ترسيخ نفسها كمحور أساسي لنظام قائم على القواعد. ولهذا السبب، أخبر وزير الخارجية الأمريكية أنتوني بلينكين مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة أن

أظهرت الاحتجاجات الواسعة في العواصم العالمية حجم تنامي التعاطف والمساندة مع الشعب الفلسطيني

الإدارة ستضع «**الديمقراطية وحقوق الإنسان في قلب سياستنا الخارجية**». ولكن عندما تقف الولايات المتحدة بمفردها وتستخدم حق النقض ضد ثلاثة قرارات منفصلة لمجلس الأمن بشأن وقف إطلاق النار في غزة، تعيد التأكيد مراراً وتكراراً على «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها»، وتفوض بإرسال أسلحة إضافية لإسرائيل بقيمة 735 مليون دولار في الوقت الذي كان فيه نزاع غزة على أشده، ومقابل ذلك تقدم للفلسطينيين خطاباً فارغاً فقط حول حقهم في العيش بحرية وأمن مع دعم حل الدولتين (هذا الأخير هو احتمال لم يعد يأخذه عدد قليل من أهل العلم على محمل الجد). لقد سارعت الصين في انتقاد الموقف الأمريكي، وسلط وزير الخارجية الصيني وانغ يي الضوء على عجز الولايات المتحدة عن العمل كوسيط عادل من خلال عرض استضافة محادثات سلام إسرائيلية فلسطينية بدلاً من ذلك. وربما لم يكن عرضاً جاداً، لكن بكين لم يكن بوسعها أن تفعل ما هو أسوأ مما فعلته واشنطن في العقود الأخيرة[11].

مقاربة دبلوماسية ترضي الفلسطينيين ولا تغضب الكيان الإسرائيلي كثيراً

أن الرؤية الروسي من الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في العدوان الاخير على غزة والقدس، فيه مسعى لتقديم مقاربة دبلوماسية ترضي الفلسطينيين ولا تغضب الكيان الإسرائيلي كثيراً، حتى أن خطوات الكرملين توصف بالهادئة في هذه القضية. حيث ترددت إدارة بوتين في دعم أي تدخل أو مبادرة سلام يمكن تفسيرها على أنّها معاديةٌ للكيان الإسرائيلي في ظاهرها. لكن روسيا - بعكس الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي- لا تعتبر حماس تنظيماً إرهابياً، وسبق أن استقبلت وفود الحركة لنقاش جهود السلام. وكان واضحاً الانتقاد الروسي النادر للتطبيع العربي الأخير مع الكيان الإسرائيلي، إذ قالت موسكو في مجلس الأمن الدولي إن تطبيع العلاقات بين إسرائيل ودول عربية أمر غير قادر على إرساء استقرار شامل في الشرق الأوسط في حال تجاهل الملف الفلسطيني الإسرائيلي[12].

وبفضل نفوذ روسيا الإقليمي وعلاقتها بالطرفين المتحاربين، فإنّها ترى نفسها في موقعٍ فريدٍ من نوعه للتأثير على عملية المصالحة بين فلسطين والكيان الإسرائيلي. لما تتمتع به من علاقات ودية مع طرفي النزاع، ولما يمكنها من تعزيز مكانتها في حال استغلت تلك العلاقات بالشكل الصحيح. وفي اجتماع سابق للأعضاء الدائمين بمجلس الأمن الروسي صرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين: «**بأن تصعيد النزاع الإسرائيلي الفلسطيني يجري على مقربة من الحدود الروسية**»، ويخص مصالحها الأمنية في سوريا بشكل مباشر[13]. هذا يعني أن روسيا ترى في وجودها العسكري المكثف في سوريا ضرورة لحماية مصالحها الجيوسياسية والاقتصادية، وفي تنمية طموحها عبر الاستثمار في خطوط الغاز، الذي سيجعل من نفوذها كماشة تربط مصالح الشرق بالغرب. هي ترى ان المنطقة أصبحت هشة وتؤثر على

(11) Foreign Policy, website, Stephen M. Walt, international relations at Harvard University, May 27, 2021.
https://foreignpolicy.com/202127/05//its-time-to-end-the-special-relationship-with-israel/

(12) (Arabic Post, website, Analysis, June 18,2021 https://arabicpost.net/%D8%AA%D8%AD%D984%%D98%A%D984%%D8%A7%D8%AA/202118/05//%D8%A7%D984%%D985%%D988%%D982%%D981%%D8%A7%D984%%D8%B1%D988%%D8%B3%D98%A-%D981%%D984%% D8% B3% D8%B7 %D98%A% D9% 86/

(13) المصدر السابق

مصالحها في المنطقة، فهي تملك قاعدة حميميم الجوية الروسية ومنشأة بحرية في طرطوس، وتطمح بتوسيع وجودها العسكري في شرق البحر المتوسط، لتكون كنقطة انطلاق للعمليات، ولتظهر قوتها في جميع أنحاء الشرق الأوسط. لذلك من المؤكد الوجود الروسي المتزايد في الشرق الاوسط يؤدي لتقويض جهود الولايات المتحدة وحلفاؤها بشكل غير مباشر، ومزيد من الإضرار بمصالحهم وعلى نطاق أوسع. أن روسيا لا تكون مهمة بالنسبة للولايات المتحدة وحلفاؤها إلا إذا كانت خطرة، لذلك يصعد بعض السياسين الروس من خطابهم العسكري المثير للخوف لإرغام واشنطن على العودة إلى تعاملها الحذر مع روسيا[14].

(14) لمزيد من التفاصيل ينظر: ليليا شيفتسوفا، روسيا بوتين، ط1، (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006م)، ص249

يبدو أن الكرملين لا يمتلك الرغبة أو الوسائل للمبادرة بصياغة وفرض شروط السلام في معركة غزة (سيف القدس). وبدلاً من ذلك، هي تسعى لاستغلال نفوذها ضمن سياق اتفاق سلام أوسع بوساطة مجموعة عاملة من القوى العظمى والمنظمات الدولية، حيث دعاً وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف الأسبوع الماضي، إلى اجتماعٍ عاجل للجنة الرباعية الدولية، التي تضم (الأمم المتحدة، والولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وروسيا)، من أجل حلّ الأزمة، ومن خلال دعم التنمية الاقتصادية الفلسطينية وبناء المؤسسات. والتزاماً بتركيز روسيا على التعددية في الشرق الأوسط، اقترح وزير خارجيتها توسيع اللجنة الرباعية الدولية بتكوين «4+4+2+1» لتضم بذلك الأعضاء الأربعة الأصليين، فضلاً عن مصر والأردن والإمارات والبحرين، فضلاً عن فلسطين والكيان الإسرائيلي، فضلاً عن السعودية. وبررت موسكو سبب ضم الدولة الأخيرة استناداً إلى مبادرة السلام العربية التي طرحتها المملكة عام 2002 [15].

(15) المصدر السابق

وفي ظل تعامل موسكو الحذر مع عملية المصالحة الفلسطينية-الإسرائيلية الشديدة التعقيد، نجد أنّها ترى ضرورة تفعل التشاور المستمر مع المبعوثين الفلسطينيين. إذ أعرب السفير الفلسطيني إلى موسكو (عبدالحافظ نوفل) عن ثقته بأنّ روسيا تستطيع نقل المصالح الفلسطينية بشكلٍ عادل إلى الكيان الإسرائيلي: «أصدقاؤنا الروس يعرفون موقفنا جيداً.. روسيا تدافع عن مصالحنا. وكما قال زميلي السفير الأردني، فإنّ روسيا تتمتع بعلاقة قوية مع الكيان الإسرائيلي وتستطيع التأثير عليه» [16].

(16) المصدر السابق

دعا الرئيس الروسي بوتين في 13 مايو2021، مع الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، إلى إنهاء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في غزة ومن خلال «حل الدولتين»، مما يعني ضمناً إنشاء فلسطين كدولة مستقلة إلى جانب إسرائيل. وحثت روسيا الأمم المتحدة إلى «بذل المزيد من الجهود لتهدئة التوترات وتنفيذ حل الدولتين». وأعربت بكين عن استيائها في 13 مايو / أيار بسبب عرقلة الولايات المتحدة لمناقشات مجلس الأمن الدولي في 12 مايو / أيار، ورفضها الموافقة على بيان مشترك يدعو إلى حل سلمي من خلال «حل الدولتين». وقبل ذلك، امتنعت

واشنطن أيضاً عن تبني بيان رئاسي لمجلس الأمن بشأن معركة غزة (سيف القدس).

وترى روسيا أن إحدى أدوات الحل تكمن في تكثيف النشاط الدبلوماسي رداً على التصعيد الحالي بين الكيان الإسرائيلي والفلسطينيين، من خلال تصريحاتها العلنية التي تدعم المساواة في التعامل بين الطرفين المتحاربين، وتدعو إلى نزع فتيل الموقف واستئناف المفاوضات تحت رعاية الرباعية - التي تهدف إلى حل الدولتين، لا أنَّ يكون هناك دعم لطرف على حساب الطرف الآخر.

أظهرت الاحتجاجات الواسعة في العواصم العالمية حجم تنامي التعاطف والمساندة مع الشعب الفلسطيني، وايدت روسيا اقامة وقفة تضامنية شعبية أمام السفارة الفلسطينية، حضرها سفراء دول عربية واسلامية وشخصيات اعتبارية من الأوساط الروسية والاجنبية يشجبون أي شكل من اشكال التهويد والانتهاكات لحرمة الأماكن المقدسة وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة عموماً[17].

لقد كانت روسيا ثابتة في سنوات إدارة دونالد ترامب، في انتقاد نهج واشنطن لتهميش المشكلة الفلسطينية. ودعت إلى استئناف المفاوضات ما بين الكيان الإسرائيلي والفلسطينيين، واقترحت موسكو مكانا للاجتماع، وتوصلت من تحقيق توافق بين فصائل المقاومة الفلسطينية، من خلال إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة مع السلطة الفلسطينية وحركة حماس[18]. كان رد فعل روسيا متشككاً على اتفاقيات إبراهيم[19]، فهي ترى أنه على الرغم من كونه تطوراً إيجابياً، إلا أنه لا يستطيع ان يقدم حلٍ للقضية الفلسطينية - التي تعد واحدة من المشكلات الأساسية المزعزعة للاستقرارٍ في الشرق الأوسط. وترغب موسكو إلى عقد مؤتمر على المستوى الوزاري لعملية السلام في الشرق الأوسط مع اللجنة الرباعية ومصر والأردن والإمارات العربية المتحدة والبحرين والكيان الإسرائيلي والفلسطينيين. وهذا يدل أن وجهة النظر الروسية بعد تداعيات معركة غزة (سيف القدس)، تثبت انها كانت على حق، فالمشكلة الفلسطينية تتصدر مرة أخرى أجندة أزمات المنطقة والمجتمع الدولي، لذا هي تركت مهمة الوساطات والاتصالات لدول إقليمية على صلة مباشرة بطرفي التصعيد.

خلف الكواليس، الروس متشائمون للغاية بشأن إمكانية دفع المصالحة الإسرائيلية الفلسطينية إلى الأمام. حيث يرى كبار الخبراء الروس في الشرق الأوسط، الذين يبحثون عن أفكار لتعزيز بناء السلام من خلال الرؤية الإستراتيجية ذات الخطوات الصغيرة للتعاون الإقليمي من خلال القضايا الاجتماعية والاقتصادية والبيئية للوصول للخطوات الكبيرة بنجاح. لأنهم يأملون في أن يؤدي حل المشكلات الملموسة عبر بناء الثقة للتعامل مع المشكلات الأكبر. لكن لم يتم دعم وتبني هذا النهج بعد كموقف رسمي لموسكو[20].

إن روسيا راضية عن الأحداث الأخيرة التي جددت شكل الرباعية ودورها في

(17) دولـة فلسطين، الموقع الالكتروني، وزارة الخارجية والمغتربين، المكتب الإعلامي، اخبار السفارات، 20 آيار 2021.
http://www.mofa.pna.ps/en/ %D988%%D982%%D981%%D8%A9%D8%AA%D8%B6%D8%A7%D985%%D986%%D98%A%D8%A9%D9% 85%D8%B9%D8%B4%D8%B9%D8%A8%D986% %D8%A7%D8%A7% D9% 84%D9 %81%D984% %D8%B3%D8%B7%D98%A%D9%86%D98 %A-%D981%%D98%A-%D8%B1%D9% 88%D8%B3%D9%8A%D8% A7

(18) لمزيد من التفاصيل ينظر: كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسـط بعد الـحرب الـباردة فـرص وتحديات، ط1، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016م)، ص38.

(19) Atlantic council, website, Lt. Col. (ret.) Daniel Rakov is a research fellow at the Institute for National Security Studies in Tel Aviv, focusing mainly on Russian Policy in the Middle East and Great Power Competition in the region, Wed, May 26, 2021.
https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/do-china-and-russia-want-to-replace-the-us-as-mediators-in-the-israeli-palestinian-conflict/

(20) المصدر السابق

إنهاء الصراع في معركة غزة (سيف القدس)، وبالتالي إلى حد ما استعادة مكانة موسكو المتكافئة للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة. في غضون ذلك، من المرجح أن ترى بكين وموسكو بعض الفوائد في خيبات الأمل وانعدام الثقة المستمر الموجهة نحو الولايات المتحدة والدور غير المباشر الذي تلعبه.

أن رؤية القوى العظمى مبني على أساس المصالح لا على أساس العدالة الدولية

يبدو مما سبق أن رؤية القوى العظمى مبني على أساس المصالح لا على أساس العدالة الدولية. وأن روسيا تتبع سياسة حكيمة منصفة خاصة في مجال القضية الفلسطينية، وهي الفاعل الدولي الرئيسي الوحيد القادر على التواصل مباشرةً مع جميع الأطراف والفصائل المقاومة، وترى ضرورة في تعزيز الحوار بين الفلسطينيين وبعضهم، إلا أن بكين تفتقر للبعض من الأدوات اللازمة للضغط على الكيان الإسرائيلي. لذلك هي ترى في دبلوماسيتها الاستباقية والمتعددة الأطراف، بأنها تثبت دائماً للغرب أنها ما زالت قوة عالمية مسؤولة ولا يمكن تجاوزها. وبالنتيجة الروس مقتنعون بأن معركة غزة (سيف القدس) أعادت تنشيط اجتماعات مبعوثي الرباعية وأن مجلس الأمن الدولي سوف يتعامل مع الوضع. قد يُرى الموقف الروسي بأنَّه يمتاز بالحيادية، لكنه قد يكون تكتيك روسي بات معروفاً وجرى تنفيذه في سوريا وليبيا لكونها مشغلاً للغاز السوري في المتوسط، وتقوم رؤيتها على إبداء عدم الاهتمام في البداية وترك الأمور حتى ترسو في اتجاه معين، ثم تدخل موسكو بقوة وتتحول إلى لاعب رئيسي، وهي صارت تقرأ وتراعي حساباتها بشكل خاص لجوارها مع الكيان الإسرائيلي، وتربط مواقفها بمصالحها الاقتصادية والأمنية والسياسية وأيضاً مصالح حلفائها. ويظهر أنها تستفيد من التخبط الأميركي في الملف الفلسطيني، وملفات أقليمية أخرى، وأنها تنتقي الفرصة لتدخل بالطريقة التي تصب في مصلحتها، لتلعب دور الوسيط الفعال الذي يحظى برضى الطرفين.

الخاتمة:

نستخلص مما سبق أن معركة غزة (سيف القدس) قد أسفر عنها جملة من الرؤى والمواقف والتحركات الداعمة والمناصرة للشعب الفلسطيني، ومن هذه النتائج هي:

1. أبرزت معركة غزة (سيف القدس) للعالم، أن تراكم السياسات الخاطئة التي اتبعتها الإدارة الامريكية وآخرها إدارة ترامب الأخيرة، من خلال تجاهل الحاجة إلى مواصلة عملية السلام في الشرق الأوسط وتعزيز حل الدولتين. الأمر الذي أدى بالتالي إلى إلحاق ضرر طويل الأمد بحقوق الشعب

الفلسطيني ودول المنطقة. والدليل تصاعدت الدعوات في الأمم المتحدة، وتحرك شعوب المنطقة والعالم لاتخاذ موقف أكثر فاعلية من عنف الكيان الإسرائيلي ضد حقوق الشعب الفلسطيني. كذلك أظهرت معركة غزة (سيف القدس) تظليل الولايات المتحدة لحقوق الإنسان الفلسطيني، وغض الطرف عن معاناتهم، وحجب كل سُبل المساعدات والحلول للأزمة من قبل الدول الاقليمية والدولية.

2. تلخصت رؤية الصين تجاه الأزمة بين الكيان الإسرائيلي والفلسطينيين في معركة غزة (سيف القدس)، أنها كانت فرصة سياسية لبكين لتعزيز مصالحها الوطنية، وأن تظهر للعديد من الدول كقوة مسؤولة ومعتدلة تراعي الجوانب الانسانية. إذ عارضت بكين بشدة لسياسة الولايات المتحدة تجاه المسلمين ودعمها الأحادي الجانب للكيان الإسرائيلي. وبذلك كشفت نفاق الولايات المتحدة واتهامها بالكاذب فيما يتعلق بالسياسة الصينية تجاه المسلمين في شينجيانغ. لقد استخدمت الصين الصور الإعلامية من غزة كأداة ضد الولايات المتحدة واسرائيل، وانحازت وتعاطفت مع الشعب الفلسطيني، لذا توصف العلاقة بين الولايات المتحدة والصين بأنها «تنافسية تعاونية»، وقد تكون المنافسة بين الولايات المتحدة والصين خطيرة. لقد استثمرت الصين توليها للرئاسة الدورية لمجلس الأمن الدولي، وبالنسبة لها كانت هذه فرصة لتسليط الضوء على رؤيتها وقدراتها في لعب دور أكثر أهمية في نزاع الشرق الأوسط، من خلال اقتراح استضافة محادثات مباشرة بين الكيان الإسرائيلي والفلسطينيين لإيجاد حل دبلوماسي سلمي.

تمكنت الصين قبل وبعد معركة غزة (سيف القدس)، من توظيف رؤيتها الدبلوماسية ونفوذها الاقتصادي لتعزيز مصالحها وعلاقاتها مع دول الشرق الأوسط والعالم، ولا سيما الدول المنتجة للنفط إيران والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، ولتقلل من الضغط الأمريكي الذي أثقل كاهل دول المنطقة. لذا هي ترى في تقوية وتعزيز دورها السياسي المعتدل في أزمة غزة سيصب في تراجع نفوذ الولايات المتحدة، وفي الوقت نفسه هي تملك ورقة الاستثمارات الصيني المغرية التي تضم مشاريع البنية التحتية الواسعة النطاق وبتكلفة منخفضة، تمكنها هذه الورقة من فرض رؤيتها الاقتصادية والسياسية على طرفي الصراع ومنافسيها.

3. تـرى روسيا في تحركها الخارجي كوسيط في معركة غـزة (سيف القدس)، ضرورة بدء حوار جاد لمعالجة الأسباب الجذرية للصراع، وتركيز الجهود الدولية والإقليمية على استئناف مفاوضات سياسية مباشرة بين

الكيان الإسرائيلي والفلسطينيين، وفي الوقت نفسه هي تهدف لإعادة ترتيب أوراقها ومكانتها ومصالحها في سياستها الخارجية، ولإعلاء حضورها مقابل الولايات المتحدة، التي تدعم عدم الاستقرار في غزة، اضافة لتنصلها عن الإيفاء بالتزاماتها، مقابل العروض المغرية لروسيا في مجالات الاستثمار في البنية التحتية والامن والطاقة. يبدو أن الكيان الإسرائيلي وجد نفسه منغمساً في صراع متنامي غير مباشر بين قوتين عظيمتين متمثلة بالصين وروسيا، لهما رؤية متقاربة تجاه معركة غزة (سيف القدس)، ويمثلان أهمية ومصدر قلق متزايد في السياسة الامريكية والاسرائيلية، لكونهما أكبر تحالف اقتصادي وعسكري متنامي مؤثر في العالم. اضافة لذلك هناك فرصة لدى روسيا من خلال تراكم الإخفاقات الدبلوماسية والعسكرية للولايات المتحدة، التي باتت لا تحتاج إلى انهيار آخر في الشرق الأوسط يجعلها تبدو غير كفؤءة، وخير دليل اعلانها نيتها الانسحاب من أفغانستان والعراق وتقليص نفوذها ووجودها العسكري. تستند رؤية روسيا الى نظرة واقعية للأزمات في العالم، لذا هي تطرح فكرة العمل الجماعي الدبلوماسي، ومن خلال مركزية الأمم المتحدة لتعطي مصداقية للدبلوماسية والجهات الفاعلة البناءة، ولتعزيز هدفها المتمثل في مقاومة نفوذ نظام أحادي القطبية بزعامة الولايات المتحدة، الذي تعدى طموحات دول الشرق والغرب. لقد استثمرت روسيا سياسياً وعسكرياً واجتماعياً الحاجة الماسة لتواجدها في شمال شرق سوريا، وفي إطار الجهود العامة للدفاع عن المدنيين ولكسْبها ثقة المجتمعات القبلية في دير الزور، وتمويلها للمساعدات الإنسانية المباشرة إلى هذه المجتمعات، وإحكامها على مقاومة الارهاب الاجنبي. ويُسلط وجود روسيا الضوء على الأهداف المعقدة والمتضاربة أحياناً والتي تدفع موسكو إلى لعب جوانب مختلفة من الصراع من أجل السيطرة وحماية مصالحها في دمشق. كذلك موسكو ساعدت قوات الأسد في اعتراض الهجمات الصاروخية الإسرائيلية، وهذا يتعارض مع مصالح الولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي.

4. الحقيقة التي أبرزتها معركة غزة (سيف القدس) التزام السلطة الفلسطينية بالدبلوماسية وتعاونها الأمني مع الكيان الإسرائيلي أظهر استياء شعبي، لأنها فشلت في تحقيق نتائج ملموسة للفلسطينيين في السنوات الأخيرة، مقابل ذلك أظهرت الصراع غير المتكافئ، قوة المقاومة الفلسطينية المتجذرة في صمودها، وأنهم أقاموا قوة ردع ضد الكيان الإسرائيلي، حتى فاقت الأحداث على أرض الواقع لما كان مخطط له من قبل الولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي، فضلاً عن تحرك شعوب المنطقة وأغلب دول العالم لمناصرة

أحقية الشعب الفلسطيني في المقاومة. إن الإرادة على المقاومة والقدرة على حشد الرأي العام الإقليمي والدولي هي نقاط القوة للفلسطينيين، وقد نشرتها حماس بفاعلية في هذه الجولة الأخيرة، ويمكن للإسرائيليين أن يجعلوا المقاومة الفلسطينية غير مجدية، لكنهم لا يستطيعون جعلها تختفي، وبرهنت المقاومة الفلسطينية إمكانية إطالة أمد الصراع إلى أجل غير مسمى.

قائمة المصادر:

1. إبراهيم نافع، الصين معجزة القرن العشرين، ط1، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1999م).
2. أنطوان برونيه وجون بول جيشار، التوجه الصيني نحو الهيمنة العالمية الإمبريالية الاقتصادية، ترجمة عادل عبدالعزيز أحمد، ط1، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2016م).
3. جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ط1، (بيروت: دار ومكتبة الهلال،2011م).
4. دولة فلسطين، الموقع الالكتروني، وزارة الخارجية والمغتربين، المكتب الإعلامي، اخبار السفارات، 20 آيار 2021.
5. كاظم هاشم نعمة، روسيا والشرق الأوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات، ط1، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016م).
6. كرار أنور ناصر البديري، الصين بزوغ القوة من الشرق، ط1، (بيروت: دار المحجة البيضاء للنشر والتوزيع، 2015م).
7. لوه تشونغ مين، ترجمة د.حسانين فهمي حسين، ولد للإصلاح مقومات التجربة الصينية، ط1، (مصر: دار النشر للجامعات، 2014م).
8. ليليا شيفتسوفا، روسيا بوتين، ط1، (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006م)، ص249.
9. Atlantic council, website, Dr.Mohamed Bin Huwaidin is an associate professor of Political Science at the United Arab Emirates University, Wed, May 26, 2021.

10. Arabic Post, website, Analysis, June 18,2021

11. Foreign Policy, website, Stephen M. Walt, international relations at Harvard University, May 27, 2021.

12. The diplomat, website, Danil Bochkov, May 21, 2021.